بسم الله الرحمن الرحيم

لاإله إ لا الله   محمد رسول الله

محاضرة

الإيمان بالقضاء والقدر

الدكتور/ فهد العصيمي

بداية:

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ،

محاضرتنا اليوم ستكون – إن شاء الله – عن القضاء والقدر ، وقبل الدخول بتفاصيل القضاء والقدر نأخذ تعريف القضاء والقدر ، وما هو حكم الإيمان بالقضاء والقدر .

القضاء والقدر هو : ما قضاه الله وقدره إلى قيام الساعة ؛ ولذلك يقول الإمام أحمد – رحمه الله – : " القدر هو قدرة الله تعالى " ، أما بالنسبة لحكم الإيمان بالقدر فلا شك أنه واجب ،

ويعد الإيمان بالقضاء والقدر الركن السادس من أركان الإيمان ،

ومن أنكر القضاء والقدر فهو كافر خارج عن ملة الإسلام أو أنكر جزئية من جزئيات القدرالصحيحة فقد كفر كذلك .

والأدلة واضحة جداً في كتاب الله تعالى وفي سنة رسوله – صلى الله عليه وسلم – على وجوب الإيمان بالقضاء والقدر وكذلك بين الله سبحانه وتعالى أن كل شيء في هذا الكون مقدر بقدرة الله تعالى ، وكذلك يقول الله تعالى بأن الإيمان بالقضاء والقدر : (ولم يكن له شريك في الملك وخلق كل شيء فقدره تقديرا) ، ويقول الله سبحانه وتعالى : (ولله ملك السماوات والأرض ، والله على كل شيء قدير)، ويقول الله سبحانه

وتعالى : (تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير) ، ويقول : (ولم يكن له شريك في الملك وخلق كل شيء فقدره تقديرا) ، ويقول : (وكان أمر الله قدراً مقدورا) ، وغيرها من الأدلة التي تبين أن كل شيء في هذا الوجود هو بقضاء الله سبحانه وتعالى وبقدره ، وكل المصائب والمشاكل التي تحدث على هذا الوجود قد قدرها الله سبحانه وتعالى وقضاها في اللوح المحفوظ قبل حصولها ، ولذلك يقول تبارك وتعالى : (ما أصاب من مصيبة إلا بإذن الله) ، ويقول سبحانه وتعالى : (إنا كل شيء خلقناه بقدر) ؛ فالشاهد من هذه الأدلة أن الله سبحانه وتعالى أثبت فيها أنه قد قدر كل شيء قبل حصوله . وكذلك يلزم المسلم الإيمان بالقضاء والقدر .

وأما الأدلة من السنة فهي كثيرة جداً:

منها الحديث المشهور حديث جبريل – عليه السلام – عندما جاء للرسول – صلى الله عليه وسلم – وسأله عن أسئله ، ففي مقدمة الحديث عندما " قال : أخبرني عن الإيمان، قال : أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره " ، والحديث رواه مسلم . ولما خلق الله سبحانه وتعالى القلم قال له : " اكتب " قال : " ماذا أكتب ؟ " قال : " اكتب ما هو كائن إلى قيام الساعة " ، وفي الحديث " الذي عندما ينفخ الجنين أو ينفخ الروح في الجنين أو في بطن أمه يأتيان – أي الملكان – فيكتبان عمله وأثره وأجله

ورزقه ثم تطوى الصحف فلا يزاد فيها ولا ينقص " والحديث في مسلم ، والشاهد من هذه الأدلة كذلك وجوب الإيمان بالقضاء والقدر وأن من أنكر القضاء والقدر وأو أنكر جزئية من جزئياته الصحيحة فهو كافر مرتد عن دين الله سبحانه وتعالى .

أما بالنسبة لهؤلاء الذين ينسبون الأحداث إلى مجرد الصدفة ، ويقولون إن هذا الشيء حصل صدفة أو حصل كذا وحصل كذا فهؤلاء ليس معهم دليل لا شرعي ولا عقلي ، فلو كان للصدفة مجال في تقدير الأشياء أو إيجادها لما حصل هذا التوازن العجيب الغريب في هذا الكون ؛ فوجود هذا التوازن العجيب لغريب يدل على وجود الخالق الذي قدر هذه الأشياء قبل حصولها ، ولو كان الصدفة لها مجال لاضطرب هذا الكون ثم لخرب وانتهى .

وكذلك الماديون الذين لا يعترفون بالله ولا يعترفون بقضائه وقدره حالتهم شقية في الدنيا وشقية كذلك في الآخرة – والعياذ بالله – نجدهم تصيبهم المصائب والبلاوي والمشاكل وتحل بهم عند أتفه الأسباب وعند أتفه المصائب التي تحل بهم لا يتحملونها بأي حال من الأحوال لأنهم لا ينسبونها إلى موجدها الحقيقي وهو الله تبارك وتعالى الذي قدرها عليهم قبل حصولها .

يرد بعد ذلك الأسئلة حول القضاء والقدر :

س: هل الإنسان مسيَّر أم مخيَّر ؟ وللإجابة على هذا السؤال يلزمنا أن نوجه هذه الأسئلة ، هل للإنسان إرادة أم لا ؟ مع الدليل . وما علاقة إرادة الإنسان بإرادة الله سبحانه وتعالى ؟

سنأخذ أولاً بيان مذهب أهل السنة والجماعة في هذا الموضوع ، ثم بعد ذلك نأخذ آراء الفرق الضالة والمنحرفة ليتبين لنا الطريق الصحيح السليم الذي ينبغي أن يسير عليه كل مسلم ألا وهو طريق أهل السنة والجماعة ،والإنسان في الحقيقة له إرادة وله مشيئة ، ولقد أثبتها الله سبحانه وتعالى له من فوق سبع سماوات ؛ أما الدليل أن للإنسان إرادة ومشيئة يستطيع بواسطتها أن يتجه للخير ويستطيع بواسطتها أن يتجه للشر فهي قوله تعالى : (وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) ، فظاهر الآية أثبت أن للإنسان إرادة ومشيئة ، وقوله تعالى : (لمن شاء منكم أن يستقيم) ، وقوله تعالى : (قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها) ، وقوله تعالى : (فمن شاء ذكره) ، وقوله تعالى : (وما تشاءون إلا أن يشاء الله) ؛ فالآيات أثبتت أن للإنسان إرادة وله مشيئة لا يمكن أن تخرج أبداً عن إرادة الله – فإنه سبحانه وتعالى بأي حال من الأحوال لا يمكن أن – أو الدليل على أن إرادة الإنسان سواء كان اتجه للخير أو اتجه للشر لا تخرج عن إرادة الله قوله تعالى : (وما تشاءون إلا أن يشاء الله) فقد قيد إرادة هذا

الإنسان ومشيئته بإرادة الله سبحانه وتعالى ومشيئته لأن الله سبحانه وتعالى هو الذي خلق الإنسان وهو الذي خلق أعماله سواء كانت أعمال خير أو أعمال شر ، ولذلك يقول الله سبحانه وتعالى : (والله خلقكم وما تعملون) أي خلقكم وأعمالكم . إذن ثبت لنا أنه – أي الإنسان – مخير من حيث أنه يستطيع أن يتجه للخير وأن يصلي ويستطيع إذا وجب الوقت ألا يصلي ، وتبين لنا أنه مسير أي أنه لا يخرج في كلا الحالتين عن إرادة الله سبحانه وتعالى وقضاءه وقدره فهو – أي الإنسان – قد يوافق إرادة الله سبحانه وتعالى بقسميها الإرادة الكونية القدرية العامة والإرادة الشرعية الدينية الخاصة ، متى يوافق هاتين الإرادتين ؟ يوافق هاتين الإرادتين فيما لو قام وصلى فإنه وافق الإرادة الكونية القدرية العامة حيث أنه قد كتب عليه في اللوح المحفوظ ووافق الإرادة الشرعية الدينية الخاصة حيث نفذ مراد الله الشرعي الديني وأما إذا لم يصلي هذا الإنسان فإنه لا يخرج عن إرادة الله الكونية القدرية العامة ولكنه خالف الإرادة الدينية الشرعية الخاصة . فالأول استحق الجزاء وهو دخوله – إن شاء الله – برحمة الله الجنة لموافقته الإرادة الشرعية الدينية ، والثاني استحق الجزاء وهو استحقاقه لعذاب القبر وجهنم لأنه مخالف مراد الله الشرعي الديني بتركه الصلاة أو الأوامر الدينية . ويستحسن أن نأخذ فكرة سريعة عن هاتين الإرادتين لتبين لنا أكثر وأكثر ؛ فتعلمون أن إرادة الله سبحانه وتعالى تنقسم إلى قسمين إرادة كونية قدرية عامة لا يخرج عنها شيء في الوجود بأي حال من

الأحوال وأدلتها صريحة واضحة : يقول الله سبحانه وتعالى : (إنا كل شيء خلقناه بقدر) ، ويقول سبحانه وتعالى : (والله على كل شيء قدير) ، ويقول سبحانه وتعالى بشأن هذه الإرادة الكونية القدرية العامة: (وخلق كل شيء فقدره تقديرا) ، وكذلك يقول : (وكان أمر الله قدراً مقدورا) وغيرها من الأدلة التي تبين أن كل شيء موجود وكل شيء قد سجل باللوح المحفوظ ولذلك يقول الله سبحانه وتعالى : (ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير)؛ ما أصاب أي : أي شيء أصاب وحل بالإنسان من مصيبة في الأرض من نحو حصول الزلازل والبراكين والأوباء ونحو ذلك ، ولا في أنفسكم : من وجود الأمراض وفقد الولد ونحو ذلك، إلا في كتاب : أي قد سجل في اللوح المحفوظ ، من قبل أن نبرأها: أي من قبل أن تخلق وتوجد هذه المصيبة وهذا الأمر على الله سبحانه وتعالى يسير وهين وليس فيه صعوبة لأنه موصوف بالعلم المطلق يعلم ما كان وما يكون وما سيكون كيف يكون لو كان ، فالذي عنده العلم المطلق فإنه لا يعجزه شيء بأي حال من الأحوال .

وأما أدلة الإرادة الكونية القدرية العامة من السنة : فالحديث المشهور: (عندما خلق الله القلم قال له : اكتب ، قال : ماذا أكتب ؟ قال : اكتب ما هو كائن إلى قيام الساعة) وغيرها من الأدلة التي تبين أنه لا يمكن أن يحصل شيء في هذا الوجود وفي هذا الكون وفي السماوات وفي

الأراضين لا يمكن يحصل أي شيء إلا بعد أن أراده الله وقضاه وقدره في اللوح المحفوظ ، ولا يمكن يتخلف عن هذه الإرادة أي شيء لا صغير ولا كبير ولا ذكر ولا أنثى فكل شيء قد سجل وقد كتب وقد قدر ، وتبينت لنا الأدلة لهذا الشيء لهذه الإرادة أو لهذه الإرادة فكل أعمال الإنسان الصغيرة والكبيرة والخير والشر قد سجلت بهذه الإرادة قبل أن تسجل قد سجلت ، وقد تثبت في اللوح المحفوظ وهذه إرادة الله ومشيئته الكونية القدرية العامة التي لا يتخلف عنها شيء بأي حال من الأحوال .

أما الإرادة الأخرى فهي الإرادة الشرعية الدينية الخاصة وأدلتها من كتاب الله ومن سنة رسوله – صلى الله عليه وسلم – كثيرة منها : قوله تعالى : (حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين) إذن الله يحب ويريد مني أن أصلي أم لا ؟ الجواب : نعم ، قال الله تعالى : (وأحل الله البيع وحرم الربا) إذن الله يحب ويريد مني أن أتعامل بالبيع ويبغض أن أتعامل بأي شيء بالربا . (والله لا يحب الفساد) إذن الله سبحانه وتعالى يريد من الناس ألا يفسدوا في الأرض إذن هو يبغض الإفساد ويحب أي شيء يحب الإصلاح ويقول تعالى : (ولا يرضى لعباده الكفر) إذن الله يحب من عباده أن يوحدوه ويعبدوه ويبغض ويكره الكفر وصرف أي شيء من العبادة لغيره وغيرها من الأدلة في القرآن التي تبين أن الله يحب منا أن نفعل كذا ولا يحب منا أن

نفعل كذا وأما الأدلة من السنة على الإرادة الشرعية الدينية الخاصة فهي كثيرة كذلك وذلك كقوله صلى الله عليه وسلم : " صلوا كما رأيتموني أصلي " ويقول صلى الله عليه وسلم : " كل المسلم على المسلم حرام دمه ، وماله ، وعرضه "، ويقول صلى الله عليه وسلم : " من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت " وغيرها من الأدلة التي تبين أن الله يحب منا كذا على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم ولا يحب منا كذا على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم فكل الأوامر والنواهي التي جاءت على لسان الرسول صلى الله عليه وسلم ما هي إلا إرادة لله سبحانه وتعالى لأن هذا الرسول صلى الله عليه وسلم لا يتحدث من تلقاء نفسه (وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى) (وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم) فتبين لنا أن الإرادة الشرعية الدينية الخاصة واضحة أدلتها من كتاب الله سبحانه وتعالى ومن سنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

وبعد أن فصلنا الإرادة بقسميها ننتقل إلى نقطة ربما لها علاقة بكون الإنسان مسير أو مخير فيرد هذا السؤال هل يجوز الاحتجاج بالقدر على فعل المعاصي ؟ واحد أمامه كأس خمر ورجل محتسب جالس أمام الرجل الذي صمم على شرب الخمر فقال له المحتسب مالي أرى كأس الخمر أمامك ؟ فقال هذا الرجل الآخر : إن الله قد كتب علي أنني سأشرب هذه الخمرة وقد مضى وقدر أني سأشربها لا محالة فهل يجوز لهذا الرجل

أن يحتج بالقدر على الإقدام على فعل المعصية أم لا ؟ مع الدليل والتعليل؟

الجواب : لا يجوز له أن يحتج بالقضاء والقدر على فعل هذه المعصية بأي حال من الأحوال ويرد عليه بما يأتي .

نقول له إنك لم تعلم عن إرادة الله الكونية أي شيء بعبارة أخرى نقول له : " هل عندك صك شرعي من الله سبحانه وتعالى تراه أمام عينيك أنك ستشرب الخمر قبل شربها .

الجواب : أنه ليس عنده أي شيء يثبت أنه سيشرب هذه الخمرة قبل شربها فالإرادة الكونية القدرية العامة محجوبة عنه ولا يعلم عنها شيء قبل حصولها فلا يحق له الاحتجاج بشيء محجوب ومجهول عنه وكذلك نرد عليه بالإرادة الشرعية الدينية الحاضرة أمامنا فنقول له إن الله أراد منك شرعاً وديناً ألا تشرب الخمر وتتلو عليه الآية : " إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان " ، وكذلك يرد عليه بمنعه من الشرب والأكل يمنع عنه الشراب والطعام ونقول إن الله قد كتب ألا نسقيك وألا نشربك فهل هو سيرضى ويستسلم للأمر الواقع أم أنه سيرد ويقول : وماذا أعلمكم أن الله قد كتب أن تمنعوني من الطعام والشراب فنلزمه الحجة ، ونقول كذلك إن من الذي أعلمك أنك ستشرب الخمر قبل شربها فلماذا تحتج إذن بالقدر على فعل هذه المعصية ؛ فإذن لا حجة له لا من ناحية عقلية ولا من ناحية نقلية ولا من ناحية عقلية ملزم الحجة ويخصم . طيب نفترض أنه في أثناء هذه

المحاولة وأثناء هذه المناقشة ما علمنا إلا وقد نكس الخمر في بطنه فقال له المحتسب : لماذا شربتها ؟ قال : أي هذا العاصي ألم أقل لك أن الله قد كتب عليَّ أني سأشربها فقد شربتها فقضاء الله وقدره ، ونرد عليه ونقول: الآن اختلف النقاش بيننا وبينك من عدة وجوه ، نقول له : إنك بعد أن شربتها أنت لم تخرج عن قضاء الله وقدره ، والمقصود بذلك أنك لم تخرج عن الإرادة الكونية القدرية العامة ، وذلك أن الله موصوف بالعلم المطلق كما تعلمون ، وأنه قدر الأشياء قبل حدوثها ، وأنه يجب الإيمان والتسليم بمجرايات القضاء والقدر كالتقدير والعلم والمشيئة والكتابة ونحو ذلك من مراتب القضاء والقدر ، فقد علم الله سبحانه وتعالى أن فلان ابن فلان في تاريخ كذا في زمان كذا في مكان كذا سيركب الله فيه إرادة ومشيئة يستطيع بواسطتها أن يتجه للخير وأن يتجه للشر وسينزل عليه كتاب يبين له حرمة الخمر وسيرسل له رسول وسيكون الأمر أمامه والنهي أمامه ومع ذلك هذا الإنسان يتجه – والعياذ بالله – إلى الشر وإلى شرب الخمر ، وكتب الله سبحانه وتعالى عليه ما هو حاصل منه وسجله عليه في اللوح المحفوظ ورتب على عمله عقوبة من جنس عمله في الدنيا وفي الآخرة – نستجير ونعوذ بالله من ذلك .

وفي نفس الوقت هو خالق الإرادة الشرعية الدينية الخاصة إذن عندما شرب الخمر ووافق الإرادة الكونية القدرية العامة التي لا يخرج عنها أي شيء في الوجود ، (والله خلقكم وما تعملون) وفي نفس

الوقت هو خالق الإرادة الدينية الشرعية الخاصة التي فيها نهيه عن شرب الخمر ولذلك رتب الله عليه الجزاء لمخالفته للإرادة الشرعية الدينية الخاصة . ولذلك يبين الله لنا أنه من يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ، طيب ، هل للإنسان حق أن يعترض على الله جل جلاله؟! ويقول : لماذا تيسر لي أسباب الشقاوة ؟

الجواب : أنه لا يحق للإنسان أن يسأل هذا السؤال ، وليس له الحق أن يقول لماذا تيسر لي أسباب الشقاوة ، ولماذا فلان تيسر له أسباب السعادة، لأن الله سبحانه وتعالى خلق الخير وخلق الشر وجعل لكل منهما أسباب وجعل لكل منهما وسائل ، والسعيد من وعظ نفسه واتعظ بغيره وسلك أسباب النجاة والنجاح وركب السفينة التي تنقله إلى شاطئ الأمان والسلام .

فمن أنت أيها الإنسان حتى تعترض على الله ، ولماذا يخلق الخير ووسائله ولماذا يخلق الشر ووسائله فلا يحق لك هذا السؤال بأي حال من الأحوال ولا يجوز لك هذا السؤال لأنه سبحانه وتعالى لا يسأل عما يفعل وهم يسألون ، ومن اعترض على رب العالمين لماذا جعلت فلاناً يتجه إلى طريق الشر وفلاناً يتجه إلى طريق الخير واعترض على الله فإنما هو يتبع قائده إلى جهنم – والعياذ بالله – الذي هو إبليس ، والذي اعترض على الله سبحانه وتعالى عندما قال له اسجد لآدم فأخذ يحكم عقله في مجال النص ويقول : أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين فأخرجه الله من الجنة وكتب عليه الشقاء في الدنيا وفي الآخرة ، وأي

إنسان من ذرية آدم يتحكم أو يحكم عقله في مجال النصوص أو في مجال إرادة الله الشرعية الدينية الخاصة فإنما هو يتبع قائده إلى جهنم والذي هو إبليس .

فالسعيد الذي يركب أسباب السعادة ، والشقي الذي يركب أسباب الشقاء ، وما دام أنك مكلف وتختار وعاقل وبالغ وكل العوامل الأهلية موجودة فيك فما عليك إلى أن تتجه إلى الخير ولا فيه أحد يجذبك ويجرك إلى الشر بقوة إنما أنت مختار وقد أثبت الله لك إرادة كما مر وذكرنا ولذلك جاء رجل إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يسأل ويقول: فيما العمل يا رسول الله أفيما جفت به الأقلام وجرت به المقادير أم فيما يستقبل ؟! فقال له رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : العمل فيما جفت به الأقلام وجرت به المقادير ؛ فكأنما الرجل قال فيما العمل فبين له الرسول – صلى الله عليه وسلم – قال : " اعملوا فكل ميسر " وفي رواية " فكل ميسر لما خلق له " وظاهر الحديث تبين أنه يعني لا يحق لك أن تحتج بالقضاء والقدر على ترك الأعمال التي فيها سعادتك في الدنيا وفي الآخرة . اعمل وافعل الأسباب التي فيها سعادتك وابتعد عن الأسباب التي فيها شقاوتك ويبين له الرسول أنه كل إنسان سيعمل لكل ما هو ميسر له .

ولما احتج سارق في عهد عمر الخطاب – رضي الله تعالى عنه – عندما سرق وقال إني سرقت بقضاء الله وقدره ، فكأنه يريد أن يرفع عن نفسه العقوبة ويكل الأمر إلى قضاء الله وإلى قدره بحيث لا تقام عليه

العقوبة ولذلك أدرك الفاروق سر احتجاجه في هذا الظرف الزماني والمكاني فقال له عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – الذي يفقه نصوص الشريعة وأوامرها ونواهيها قال : نقيم عليك الحد بقضاء الله سبحانه وتعالى وقدره ، فهذا الرجل الذي احتج على عمر على كل لا ندري أي إرادة يقصد ، يقصد الإرادة الكونية العامة أم يقصد شيء آخر ، ولا شك أنه يقصد أنه سرق بقضاء الله وقدره الإرادة الكونية العامة لأنه لا يوجد عند هذا الرجل المحتج لا يوجد إرادة شرعية تقول له اسرق إنما هو يريد أن يحتمي بالقضاء والقدر لأجل أن يفلت من العقوبة ولكن الفاروق أدرك احتجاجه وبين له أنه لا يجوز الاحتجاج في هذا المقام قال له : إذن نقطع يدك بقضاء الله وقدره ، وعندما قال عمر بن الخطاب نقطع يدك بقضاء الله وقدره ماذا يقصد عمر بن الخطاب هل يقصد الإرادة الكونية القدرية العامة أم يقصد الإرادة الشرعية الدينية الخاصة نعم عمر يقصد الإرادة الشرعية الدينية الخاصة ولا يمكن لعمر أن يحتج بإرادة قد تحصل وقد لا تحصل لأنه قد يقوم هذا السارق قبل أن يقام عليه الحد .

طيب ، إذن ما تقدم يتضح لنا من هذا الكلام مذهب أهل السنة والجماعة في طريقة الإيمان بالقضاء والقدر وسريانه على الإنسان في حالة الخير وحالة الشر ، وما هي علاقة إرادة الإنسان بإرادة الله سبحانه وتعالى، وهذا المذهب هو المذهب الوسط وهو المذهب الذي عليه أهل

السنة والجماعة وهو الطريق الوسط بين المذاهب المتطرفة – والعياذ بالله– فهناك مذهبان متطرفان في علاج هذه المسألة وهذا المذهبان :

أولاً : مذهب القدرية : وهم أكثر المعتزلة ينكرون دخول أفعال الناس تحت قدرة الله فيقولون ليس لله دخل في اتجاه الإنسان للخير أو الشر فهم نفاة القدر – والعياذ بالله – ويقولون إن الإنسان يتجه للخير أو الشر بمحض إرادته وليس لله أي دخل فيه وحجتهم يقولون لئلا يوصف الله بالظلم فهم يقولون لو أن لله دخل في إرادة الإنسان باتجاه بالخير أو الشر لكان نصف الله بالظلم والله منزه عن الظلم ، إذن الإنسان هو الذي يتجه بمحض إرادته للخير أو الشر فإن اتجه للخير فمصيره الجنة وإن اتجه للشر فمصيره النار وليس لله دخل ولا علم بذلك – والعياذ بالله – . ويلزمهم من هذه الحجج الخبيثة ما يأتي : يلزمهم تعدداً لخالقين حيث أن كل إنسان يخلق فعل نفسه ومن قال بهذه المقالة فلا شك بكفره وشركه إذ لا يوجد إلا إله واحد خالق رازق واحد أحد فرد صمد وهو الله سبحانه وتعالى يعلم ما كان وما يكون وما سيكون كيف يكون لو كان ، ويلزمهم كذلك وصف الله بالجهل وعدم العلم ويلزمهم وصف الله بالعجز وعدم تدبير خلقه وعلى عدم قدرته على تيسير هذا الكون ، ومن قال هذا بحق الله فقد كفر كذلك ؛ وكذلك فإن القدرية التي هم نفاة للقدر هم مجوس هذه الأمة الإسلامية كما ورد فيهم عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – عندما قال : " القدرية مجوس هذه الأمة ،

إن مرضوا فلا تعودوهم ، وإن ماتوا فلا تشهدوهم " هذا ملخص لمذهب هذه الفرقة .

أما الفرقة الثانية فهي فرقة الجبرية وهم ينسبون إلى الجهمية الذين بدورهم ينتسبون إلى جهم بن صفوان الذين غلوا في إثبات القدر – والعياذ بالله – وقالوا الإنسان مجبور على فعل الخير أو الشر فهو – أي الإنسان – كالريشة في مهب الريح لا إرادة له ولا مشيئة إنما الله سبحانه وتعالى هو الذي يجبره على الاتجاه للخير والله الذي يجبره على الاتجاه للشر وحجتهم يقولون : حتى لا يتعدد الخالقين وحتى لا يوصف الله بالجهل ولا يوصف بعدم القدرة ولكنهم وقعوا في أشد مما فروا منه – والعياذ بالله – أن وصفوا الله بالظلم إذ كيف يجبر الإنسان على فعل معصية ، ومن ثم يعذبه عليها في نار جهنم ؟! فحاشا أن يكون الله يظلم أحد مع أنه قد حرم الظلم على نفسه وجعل الظلم بيننا محرماً .

ولذلك تطرف المذهبين هو الذي أوقع كثير من الناس في الارتباك في فهم القضاء والقدر بالنسبة لأفعال العباد ، ولذلك أهل السنة والجماعة توسطوا كما قلت لكم وأثبتوا أن للإنسان إرادة ومشيئة ولكن إرادته ومشيئته سواء اتجه بهذه الإرادة للخير أو الشر لا تخرج عن إرادة الله ومشيئته الكونية القدرية العامة ، ولا شك أن الطريق الوسط هو طريق الإسلام في كل شيء فديننا الإسلامي وسط بين الغالي وبين الجافي فيقول الله سبحانه وتعالى : (وكذلك جعلناكم أمة وسطاً " فليست الأمة كاليهود الذين وصفوا الله بالفقر مثلاً وليسوا كالنصارى الذين غلوا

بتشبيه المخلوق بالخالق عندما قالوا إن المسيح ابن الله أو ثالث ثلاثة أو شبه من هذا القبيل .

بداية الوجه الآخر :

ها هم أبناء السنة والجماعة يصفون الله بصفات الكمال وينفون عنه صفات النقص والعيب ، طيب ، إذن متى يجوز الاحتجاج بالقدر ؟ الحقيقة الاحتجاج بالقضاء والقدر يجوز عند حلول المصائب ولا يجوز الاحتجاج به في المعايب ؛ بمعنى أنه عند حلول مصيبة بالنفس أو المال أو الولد أو نحو ذلك فإنك ترضى بقضاء الله وقدره ، وتقول : " إنا لله ، إنا إليه راجعون ، وما شاء الله كان ، وما لم يشأ لم يكن " واعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك ، واحرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز ، وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كذا لكان كذا ولكن قل : " قدر الله وما شاء فعل " فإن لو تفتح عمل الشيطان .

نعم نحتج بالقدر عند حلول المصائب علينا التي نسأل الله أن يخففها عنا ، أما أن نحتج بالقدر على فعل المعايب بفعل المعاصي أو الابتعاد عن التكاليف الشرعية فإنه لا يجوز بأي حال من الأحوال .

بعد ذلك ننتقل إلى نقطة أخرى ، وهي لماذا كره الرسول – صلى الله عليه وسلم – الخوض في القدر ؟ الحقيقة أن الخوض في القدر أكثر من الحد اللازم لا ينبغي ولا يصلح لأن هذا الشيء مدعاة – لا سمح

الله– إلى الجدل المفضي إلى ترك الأوامر وفعل النواهي ولأن الخوض في القضاء والقدر أكثر من اللازم مدعاة – لا سمح الله – إلى الشرك والكفر – والعياذ بالله – وضرب النصوص بعضها ببعض – والعياذ بالله – حيث أن الإنسان يتعمق ويتعمق ويدور في حلقة مفرغة لا يدري أين طرفها ومن ثم يلزمه توجيه أسئلة ، هذه الأسئلة لا تليق أن توجه من المخلوق إلى الخالق .

معلوم أن الله سبحانه وتعالى لا يسأل عما يفعل وهم يسألون ، كذلك لا يلزم أن نعلم سر كل شيء ، فمثلاً هذه الروحِ لا نعلم عنها الشيء ، كذلك القدر لا يلزم أن نعرف سره وحقيقته ذلك أن هذا الشيء هو محك الابتلاء والامتحان والاختبار للناس ، فيعلم الله سبحانه وتعالى من يسلم دون أن يعمل عقله فيدخله الجنة ، ومن يعترض على الله ويحكم عقله – والعياذ بالله – فهو يتبع إبليس عندما يحكم عقله في مجال النص ، عندما قال له الله اسجد فحكم عقله وقال أأسجد لمن خلقت طينا ، أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين ، ولذلك أخرجه الله وكتب عليه الشقاء في الدنيا والآخرة ، ولذلك الرسول – صلى الله عليه وسلم – أدرك هذا الشيء ؛ فعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال:" خرج علينا الرسول – صلى الله عليه وسلم – ذات يوم والناس يتكلمون في القدر ، قال : فكأنما تفقأ في وجهه حب الرمان من الغضب، قال : فقال لهم : " ما لكم تضربون كتاب الله بعضه ببعض ، بهذا هلك من كان قبلكم " ، فأنكر عليهم الرسول خوضهم

بالقدر أكثر من الحد الذي رسم لهم ، ولذلك يقول الرسول – صلى الله عليه وسلم: " أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم " .

لذلك اسمعوا معي إلى ما يقوله فطحاويه يقول : (وأصل القدر سر الله سبحانه وتعالى في خلقه ، لم يطلع على ذلك ملك مقرب ولا نبي مرسل، والتعمق والنظر في ذلك هو سلم الحرمان ودرجة الطغيان فالحذر كل الحذر من ذلك نظراً وفكراً ووسوسة ، فإن الله سبحانه طوى علم القدر عن أنامه ونهاهم عن مرامه ، كما قال تعالى في كتابه : " لا يسأل عما يفعل وهم يسألون " فمن سأل لما فعل فقد رد حكم الكتاب كان من الكافرين ، فلا يعترض على الله سبحانه وتعالى في كونه أفقر وأغنى وأوجد وأفقر وأمات وأحيا وأضل وهدى وأصح وأمرض وجعل هذا ذكر وهذا أنثى وجعل هذا طويل وهذا قصير ونحو هذا من المتضادات) .

ولذلك يقول علي – رضي الله عنه – : (القدر سر الله فلا نكشفنه) وهذا الحقيقة الطريق من أسلم الطرق للوصول إلى الحق والوصول إلى دار السعادة بأن تسلم بظاهر النصوص ولا تعمل عقلك فيها فلا يحق لك أن تخوض بالقدر بحيث تريد أن تعرف لماذا هذا شقي ولماذا هذا سعيد فما عليك إلا أن تركب أسباب السعادة لعل الله ينقذك وما عليك إلا أن تترك أسباب الشقاوة لعل الله أن يبعدك عن النار ولذلك العبودية الكامنة لله هي التسليم الكامل ، وعدم الأسئلة ، وعدم الخوض عن تفاصيل الحكمة في الأوامر والنواهي والشرائع ولذلك ورد في

الإنجيل : (يا بني إسرائيل لا تقولوا لما أمور ربنا ؟! ، ولكن قولوا بما أمر ربنا ؟ ؛ انتبه للفرق بين العبارتين الأولى تنهاهم أن يسألوا عن الحكمة لأنهم إن سألوا عن الحكمة فإن تبين لهم فيها فائدة عملوها – من وجهة نظر عقولهم الناقصة طبعاً – وإن لم يتبين لهم شيء لم يعملوا بها ، وهذا تهكم على الله سبحانه وتعالى لأنه لن يأمر بشيء إلا وله حكمة ، سواء علمت أم لم تعلم ، ولذلك كان السلف الصالح – رضوان الله عليهم – لا يسألون لما كذا ؟ ولماذا قدر الله كذا ؟ ولماذا نفعل كذا ؟ وذلك لعلمهم أنه مضاد للإيمان والتسليم الذي هو من مستلزمات العبودية لله ، ولذلك يقول علي كرم الله وجهه : " لو كان الدين بالرأي لكان أسفل الخف أولى بالمسح من أعلاه " .

ولكن الدين ليس بالرأي بحيث تتهكم على الله ، ومعلوم قصة عمر – رضي الله عنه – عندما قبَّل الحجر الأسود ، وقال : " والله إني لأعلم إنك حجر لا تنفع ولا تضر ولكني رأيت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقبلك فقبلتك " فهنا ضرب عمر – رضي الله عنه – بعقله عرض الحائط ولم يحكمه في مجال ورد فيه فعل عن رسولنا – صلى الله عليه وسلم – أو قول أو نحو ذلك .

وبهذا الإيمان الكامل الذي سار عليه السلف الصالح سادوا الدنيا وانتشر الإسلام ، وعبدوا الله حق عبادته دون زيادة أو نقص وعزهم الله في الدنيا والآخرة وخضعت لهم البلاد والعباد ، وعلى الجيل المعاصر من

أبناء أمتنا أن يستسلموا لأوامر الله سبحانه وتعالى ونواهيه وألا يخوضوا في قضاء الله وقدره أكثر مما يلزم وأكثر مما طلب منهم شرعاً .

وننتقل بعد ذلك إلى نقطة أخرى وهي هل يحتج بالقدر على ترك الكسب وعدم فعل الأسباب يعني بعض الناس يقولون نتكل على ربنا ونؤمن بقضائه وقدره ، ولا داعي من العمل والجهد ، فالله يرزقنا في أماكننا كما يرزق الطير وتغدو خماصاً وتعود بطانا ، ولكن هذا القول الذي قال به قوم من الصوفية ونحوهم هذا القول فردوا عليهم مردود بالكتاب ومردود بالسنة ومردود بأفعال الصحابة ومردود بالعقل السليم .

أما الرد عليهم من الكتاب فالله سبحانه يقول : (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل " فلو اتكل الناس وناموا وتركوا فعل الأسباب فكيف نعد للأعداء العدة وكيف ننتصر عليهم ، والله يقول: " ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين " وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب ، فالسعي والكسب من وسائل القوة ، ويقول سبحانه وتعالى: (فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله) كذلك دعوة من الله إلى السعي وإلى العمل الجاد المثمر الذي يستفيد منه المرء والجماعة بأنه إذا انتهت الصلاة وأديت حق الله فإنه لا مانع شرعاً أن تنتشر في الأرض وأن تسعى فيها وأن تطلب فضل الله سبحانه وتعالى مما أحله الله من نحو الزراعة والصناعة ، ونحو ذلك من الأعمال

المباحة في الشريعة الإسلامية ، وكذلك يقول الله : (وأحل الله البيع وحرم الربا) كذلك هذه لفتة من القرآن إلى حل ممارسة البيع وتحريم التعامل بالربا ، والأدلة كثيرة في كتاب الله مبينة أن على الإنسان أن يسعى في أرض الله وأن يتحرك في جوانب الأرض للبحث عن الرزق.

أما الأدلة من السنة على رد هذا المذهب : يقول الرسول – صلى الله عليه وسلم : " لئن يأخذ أحدكم أحبله ويذهب إلى الجبل ويحتطب ليبيعه خير من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه " ؛ وكذلك يقول الرسول– صلى الله عليه وسلم : " ما من مسلم يزرع زرعاً أو يغرس غرساً فيأكل منه إنسان أو طير أو بهيمة إلا كتب له أجر"؛ ويقول الرسول – صلى الله عليه وسلم – : " إن قامت القيامة وفي يد أحدكم فسيلة فاستطاع أن يغرسها قبل أن تقوم فليغرسها " ؛ وقد ورد أن الله محب العبد المحترف ، ولما رأى الرسول رجل يتعبد وقد انقطع عن العمل ، فقيل : من ينفق عليه ؟ فقالوا : أخوه ، فقال صلى الله عليه وسلم : " أخبروه أن أخاه أعبد منه " أو بما معنى حديث الرسول فاليد العليا خير من اليد السفلى وابدأ بمن تعول ، و" لما جاء رجل إلى الرسول وهو في المسجد وقال : إن ناقتي خلف المسجد فهل أعقلها أم أتوكل على الله ؟ فأرشده صلى الله عليه وسلم إلى الطريقة المثلى التي يجب أن يسير عليها وقال : " اعقلها وتوكل على الله " أي أفعل الأسباب المنفذة التي طلب منك الله أن تفعلها وفي

نفس الوقت وأنت تقوم بفعل الأسباب توكل على الله سبحانه وتعالى ، وهذا ما يقصده الرسول : " لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصاً وتعود بطانا " إنما يقصد الرسول أنكم إذا فعلتم الأسباب وقع فعلكم الأسباب توكلتم على الله حق توكله فبعض الناس – والعياذ بالله – يفعل الأسباب دون أن يتوكل على الله وهذا حري أن لا يوفق في عمله وأن تنزع البركة من رزقه وكسبه ونحن نعلم أن الرسول باشر الأسباب في كل حياته من أولها إلى آخرها وسيرته وجهاده وما قام به من أعمال عظيمة في الدين والدنيا لأكبر شاهد على أنه لم يحتج بالقدر على ترك فعل الأسباب كما يفعله هؤلاء الذين لم يفقهوا سيرة الرسول وأحياناً يحتجون بأحاديث يغلب عليها الضعف أو الوضع ، وقد تكون صحيحه ولكن الرسول يقصد بها حاجة معينة لكنهم هم يأتون ويعممون هذه الحالة على جميع الحالات ، ذلك أنه لم يسعفهم العلم في الجمع بين الأحاديث المتعارضة ، ولم يوفقوا في معرفة الناسخ من المنسوخ ولا معرفة الخاص من العام فاشتبهت عليهم الأدلة ، ولم يوفقوا في اجتهادهم للصواب ولم يسألوا منهو أعلم منهم في هذه المسائل ، وانظر إلى ما قاله شارح الطحاوية في هذه المسألة يقول : " إن الاكتساب منه ما هو فرض ومستحب ومباح ومكروه وحرام ، وكان الرسول أفضل المتوكلين يلبس لامة الحرب ويمشي في الأسواق ، لذا تجد هؤلاء الذين يتكلون عالة على من يحسنون إليهم في الصدقات والهبات ونحو ذلك " ، انتهى الكلام .

ولذلك فعلاً تجد هؤلاء يتصدق عليهم ويعطون من الصدقات الواجبة والمستحبة ؛ ومعلوم قصة عمر – رضي الله عنه – وذلك عندما رأى ناس يتسولون ويظهر أو يتظاهرون بالزهد فقال من أنتم ؟ أو ما حالكم فقالوا: نحن المتوكلون على الله فخفقهم بالدرة ، وقال أنتم المتأكلون إنما المتوكل هو الذي يزرع الحب ويتوكل على الرب فانظر إلى فهم عمر لكتاب الله وفهمه سنة نبيه – عليه الصلاة والسلام –لم يقرهم على ترك الاكتساب واحتجاجهم بالقضاء والقدر إنما طالبهم بفعل السبب وطالبهم بالتحرك لما فيه المصلحة الفردية والاجتماعية .

وأما ما ورد في ذم الدنيا والتزهد فيها كقوله تعالى : " ألهاكم التكاثر" وقوله صلى الله عليه وسلم : " الدنيا جيفة وطلابها كلاب " ونحو ذلك من الأدلة ؛ فهذه الأدلة لا شك يقصد بها إذا صرفت الدنيا عن الدين ، فإذا كان الإنسان يعمل ووجبت الصلاة ولم يصلي نقول نعم: " ألهاكم التكاثر " أو أنه يجمع المال ووجبت الزكاة ولم يدفع الزكاة نقول نعم : " الدنيا جيفة وطلابها كلاب " نعم نحتج عليه بهذا الشيء أما إذا كان يقوم ويفعل الأسباب ويتوكل على الله وقد أدى حق الله فيها ولم يفرط في فريضة ولا في واجب الدين ويؤدي الزكاة فهذا نقول له : " نعم المال الصالح للرجل الصالح " كما قاله الرسول لسعد بن أبي وقاص ومن أراد الاستزادة حول هذه النقطة فليرجع إلى رسالتي في

الدكتوراه فقد ناقشت الموضوع من جميع آراء العلماء وبينت ما أرى أنه الراجح الذي يتمشى مع الأدلة والواقع .

إذن ملخص ما قلناه أنه لا يحتج بالقضاء والقدر على ترك الأسباب وعلى النوم والكسل والخمول والدعة ومعلوم أن السماء ولا تمطر ذهباً ولا فضة ، إنما لابد من التحرك ولابد من القيام والاتجاه يميناً وشمالاً ، فالذي يريد الجنة كذلك لابد أ، يفعل الأسباب ويركب المطايا التي توصله إليها ، ومن الأسباب والمطايا أن تعتب نفسك بنفسك ولا تكون عالة على غيرك وأن تكون أيها الإنسان مدركاً أن الدنيا ما هي إلا مزرعة للآخرة وأن الدنيا إلى زوال فخذ منها ما يكفيك وما يساعدك على الوصول إلى جنة عرضها كعرض السماوات والأرض ولنعلم تمام العلم أن الأمة الإسلامية إبان قوتها وعزتها وتمكينها في الأرض كان كل فرد من أفرادها عبارة عن خلية من نحل يعمل لدنياه كأنه سيخلد ويعمل لأخرته كأنه سيموت غداً وهذا ما قاله أحد الصحابة : " اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا واعمل لأخرتك كأنك تموت غداً " .

نماذج من الجمع بين الدين والدينا

إذن تقول هناك بعض صحابة الرسول صلى الله عليه وسلم جمعوا المال من طرق حلال ولكن لا تنسى أنهم صرفوها في طرق حلال ووصل الغنى بعضهم إلى درجة كبيرة جداً فهذا مثلاً عبد الرحمن بن عوف الذي توفى سنة 32 من هجرة الرسول وهو من العشرة المبشرين

بالجنة فخلف مالاً عظيماً من ذهب قطع بالفؤوس حتى مجلت أيدي الرجال منه وترك **1000** بعير و**100** فرس و**3000** شاة ترعى بالبقيع وترك **4** نسوة أخرجت إمرأة من إرثها بـ**80.000** بعد المصالحة ومع هذه الأموال العظيمة لم يغفل عن الآخرة فقد تصدق عبد الرحمن بن عوف على عهد رسول الله بشطر ماله **4000** ثم تصدق بـ**40.000** ثم تصدق بـ**40.000** دينار ثم حمل على خمسمائة فرس في سبيل الله ثم حمل على خمسمائة راحلة في سبيل الله وكان عامة ماله من التجارة وأوصى بخمسين ألف دينار في سبيل الله وأوصى لمن بقي ممن شهد بدر لكل رجل أربع مائة دينار وكانوا مائة فأخذوها .

وكان رضي الله عنه سباقاً إلى فعل الخير وهذا عثمان – رضي الله عنه – من كبار صحابة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ومن العشرة المبشرين بالجنة وكان تاجراً ثرياً لم يتكل وينام إنما توكل وفعل الأسباب وجمع المال من حله وأنفقه فيما يريد الله سبحانه وتعالى وكان تاجراً عظيماً يشار إليه بالبنان وكذلك يعلمون قصته في قادة العشرة أو في غزوة تبوك عندما جهز الجيش بكامله فقال فيه الرسول صلى الله عليه وسلم ما على عثمان ما فعل بعد هذا ما على عثمان ما فعل بعد هذا ما على عثمان ما فعل بعد هذا فانظر لمن يستغل ماله وما أعطاه الله لمصلحة الإسلام والمسلمين فإن الله تبارك وتعالى يثيبه ويجزيه وينطبق بحقه قوله تعالى : (مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن

يشاء) وإن الجهاد كما يعلمون وارد في المال (جاهدوا في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم) فلو أن الناس تركوا الاكتساب والعمل وتواصوا على ذلك وحث بعضهم بعضاً على ذلك لخملت الدنيا ولكثرت البطالة ولأصبحت الأمة الإسلامية ضعيفة مهزوزة الجانب عالة على غيرها بالزراعة والصناعة والتجارة وهذا ما لا يريده الله ولا يريده لرسوله ولا يريده رسوله لهذه الأمة الإسلامية التي قال الله فيها (ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين) ، وقال فيها : (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر) .

ومعلوم أن أمتنا الإسلامية هي التي يجب أن تسود وتحكم العالم من أقصاه إلى أدناه بكتاب الله وسنة نبيه لأنها أي رسالتها عالمية أي للثقلين (الجن والإنس) فكيف يكون رسالتنا عالمية ومنظمة لشئون الناس فيما يحتاجونه في معايشهم وفي حاجاتهم الأساسية من مأكل ومشرب وملبس وأمن وطب وتعليم ونحو ذلك كيف نوفر هذه الأشياء لو كنا أمة إتكالية وأمة لا تعمل ولا تنتج بحجج لا أساس لها من الصحة فتبين أن الإسلام دين يحث على ما يفيد الناس في الدنيا والآخرة وإلى أنه دين يسعى إلى السعادة الحقيقية للفرد بإعطاءه حاجاته الأساسية من مأكل ومشرب وملبس وذلك لكي يتحقق للفرد والجماعة السعادة في الدنيا والآخرة بعد ذلك ننتقل للفوائد التي نجنيها من الإيمان بالقضاء والقدر ما هي الفوائد التي تحصل للفرد والجماعة من جراء الإيمان بالقضاء والقدر .

أولاً : كسب الحسنات وتكفير السيئات فكلما آمن الفرد بقضاء الله واستسلم له كلما كثرت حسناته وقلت سيئاته وإن إيماننا بالقضاء والقدر هو سبب من أساب دخولنا للجنة برحمة الله لأنكم كما تعلمون هو ركن من أركانه شتى الإيمان فأركان الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسوله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره .

فإيمانك بالقضاء والقدر هو سبب لسعادتك في الدنيا والآخرة ولا شك أنه سبب من أسباب تكثير حسناتك وتقليل سيئاتك كذلك لا تنسى أن الإيمان بالقضاء والقدر وسيلة من وسائل مكافحة الأمراض النفسية والانتحار وغيرها من المشاكل التي تعترض الإنسان في هذه الحياة في المال والولد والمرض ونحو ذلك .

فهذه المصائب التي تحل بالإنسان لا علاج لها إلا التسليم بقضاء الله وقدره لأنك بقدر ما تسلم بقضاء الله وقدره بقدر ما تزول عنك أمراض نفسية كثيرة جداً تكاد أن توجد فيك لو لم تؤمن بالقضاء والقدر ولذلك نجد الآن أكثر شباب البلاد الغربية يعيشون أمراض نفسية مزمنة وبعضهم يلجأ للانتحار للتخلص من هذه المشاكل التي تقع عليه وبعضهم للمخدرات والحبوب المهلوسة ولذلك لا نعتقد أن توفير الطعام والشراب للإنسان هو كل شيء لأسباب سعادته في الدنيا فمثلاً أكثر دول في العالم الغربي في دخل الفرد هي دولة مثلاً السويد ولذلك نجد النسبة كثيرة للانتحار فيها كذلك اليابان ، فما الذي جعل الإنسان

يرمي نفسه من أعلى شاهق مع أنه قد وفر له الطعام والشراب والسكن إلا أنه يفقد ناحية روحية يفقد الإيمان بالله والإيمان بالقضاء والقدر فالحقيقة الأمة الإسلامية عندها خير عظيم وعندها مستشفى للأمراض النفسية ولمثل هذه الأشياء التي تعترض الإنسان في حياته ألا وهو إيمان الإنسان بالقضاء والقدر له دور كبير في معالجة الإنسان من هذه الأشياء .

كذلك من الفوائد التي يجنيها الإنسان من الإيمان بالقضاء والقدر أن الإنسان يتعود الصبر والتحمل وذلك يزيده قوة وشجاعة ومعاودة الكرة بعد الأخرى حتى يحقق له الله النجاح والإنسان عود نفسه التحمل والصبر كلما حاول أن يعيد نشاطه من جديد وإذا حلت عليه مصيبة لم يستسلم لها إنما عاود الكره مرة ثانية وثالثة ورابعة فطالب رسب في الامتحان بعد فعل الامتحان لا أيأس بل يعاود الكرة مرة بعد مرة وهو دائماً يردد إنا لله وإنا إليه راجعون ولكن بعد فعل الأسباب المنقذة له فلو فعل السبب وحصل له فاحصل من رسوب أو مرض أو نحو ذلك فما عليه إلا أن يستسلم لقضاء الله ولقدره ويرضى بما كتب الله .

ولذلك لو مثلاً إنسان حصل في مزرعته مصيبة فنحن أمام أمرين إما أن يؤمن بقضاء الله وقدره أو لا يؤمن بقضاء الله وقدره ويجزع ولا يصبر فإن آمن بالقضاء والقدر فإنه سيعيد الكرة ويزرع في العام القادم وسيقول آمنت بالله وبقضائه وقدره وإني متوكل على الله وأن هذا ابتلاء

واختبار لي ولربما يضاعف له الله ويزيده في الأعوام القادمة ولكنه لو نام ولم يكن عنده استعداد لإعادة الكرة وجزع ولم يستسلم بقضاء الله فإنه يترك المزرعة ويجلس عاطلاً باطلاً . ولا تنسى أن في الإيمان بالقضاء والقدر مزيد من دفع الإنسان إلى الإستبسال والشهادة والشجاعة في ميادين القتال . لذلك أدرك الصحابة هذا الجانب ولهذا كانوا يستميتون في الدفاع عن دينهم وعقيدتهم وإسلامهم ومعلوم قصة خالد بن الوليد رضي الله عنه عندما كان يخوض الحروب وكله كتلة إيمان بالله وفي قضائه وقدره ومع ذلك يخرج من هذه المعارك ولم يقتل منها ويقول عبارته المشهورة : " ها أنذا أموت كما يموت البعير" فهو يتأسف أنه لم يستشهد بالمعارك . ولذلك للإيمان بالقضاء والقدر دور في الجهاد في سبيل الله وفي تحريك جيوش المسلمين والانتصار على الكفرة الذي لا يؤمنون إلا بالماديات أما نحن أبناء الأمة الإسلامية فإن الإيمان بالقضاء والقدر يدفعنا إلى الجهاد والإستبسال وإلى أن ما أصابنا لم يكن ليخطئنا وما أخطأنا لم يكن ليصيبنا وأن الإنسان لو اجتمع الناس بكاملهم لو اجتمعوا على أن ينفعوه بشيء لم يكن الله قد كتبه له لم ينفعوه لو اجتمعوا على مضرته فإنهم لا يضرونه جفت الأقلام وانتهى كل شيء .

لذلك يستفاد من الإيمان بالقضاء والقدر أنه من أكبر الوسائل التي ينتصر بها المسلمون على أعدائهم من الكفار ونحوهم كذلك في الإيمان بالقضاء والقدر مزيد من الإنتاج الزراعي والاقتصادي والتجاري في مجتمع المسلمين لأن الإنسان وهو يقوم بالعمل البناء المثمر كله كتلة

إيمان بالقضاء والقدر فتجده يضاعف إنتاجه وهو متوكل على الله سبحانه وتعالى لا يخشى إلا من الله وإن خسر فإنه يعاود الكرة مرة أخرى كله ثقة بالله وبقضائه وقدره فهذا لا شك فيه دعم للأمة الإسلامية .

ومن أراد الاستزادة فعليه بالرجوع للكتب التالية .

الكتاب الأول التنبيهات الإنسانية على العقيدة الوسطية للكاتب عبد العزيز الرشيد ، صفحة **196،60** .

الكتاب الثاني : شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل لابن القيم الجوزية .

وكذلك شرح الطحاوية في العقيدة السلفية على بن أبي العز الحنفي ص**384** وص**385** وص**212** وص**194** وص**193** .

وكذلك كتاب إفادة المستفيد بشرح كتاب التوحيد لعبد الرحمن الحطيلي الناشر دار اللواء .

كذلك لوامع الأنوار البهية بشرح الدرة المضيئة ، محمد السفاريني الجزء الأول .

وكذلك كتاب الاحتجاج بالقدر لابن تيمية ، وكذلك كتاب التوحيد لمحمد قطب المستوى الثالث وغيرها من الكتب المفيدة النافعة .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .